المعشق كغيره انه لم يصب بحجر والظاهر ان الداء الذي اصابه بعد وقوع الحجر عليه
ولم يعجل فلا الريبة زيادة في عقوبته والمثلة به ويؤيده ان الذين اصيبوا
بالحجارة لم يموتوا كلهم بل تاخر موت جمع منهم ومامات منهم
حتى انصدع اي انشق قلبه وفي ابن اسحاق عن غيره حتى انصدع صدره
قرصتين عن قلبه جميعا وفي رواية كلما دخل ارضا وقع منه عضو حتى
انتهى الي بلاد خثعم وليس عليه غير راسه فمات ويجوز انه مات بها وحمل
الي صنعا ميتا او ميز بذلك محاره القريبة منه او لعل المخبر بموته لم يدر بنقل
وقيل لهذه الحالة لاسيما وهم مشغولون بانفسهم وانفلت وزيره ابو
يكسوم وطاير يحلق فوق راسه وهو لا يشعر به حتى بلغ النجاشي
فاخبره بما اصابهم فلما تم كلامه رماه الطاير فوقع عليه الحجر فخر ميتا
فراى النجاشي كيف كان هلاك اصحابه والي هذه القصة اشار
سبحانه وتعالى بقوله لنبيه صلى الله عليه وسلم مما عدد على
قريش من نعمه عليهم وفضله لبقاء امرهم ودولتهم قال ابن اسحاق
الم تر استفهام تقرير اي لم تعلم قدرتي على وجود علمه بما ذكر
وبه جزم في النهر وقيل تعجب لتعلم نقل المتواتر وبه جزم الجلال
اي قد علمت او تعجب كيف فعل ربك باصحاب الفيل عبر بكيف دون
ما لان المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله
وقدرته وعزة بيته وشرف رسوله اقرا السورة الي اخرها
وقد تلاها والتي بعدها ابن اسحاق وجعلها متعلقة بها كما هو احد
الاوجه وفي الكشاف وحياة الحيوان والي هذه القصة اشار
صلى الله عليه وسلم في الصحيح بقوله ان الله حبس عن مكة
الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين انتهى وهو بيان لحاصل
ما فعلوا الله ورسوله والسورة انسب من تعظيم جد المصطفى وتوسل
لاجله صلى الله عليه وسلم فلذا اقتصر عليها المص فان قلت
لم قال تعالى له عليه الصلاة والسلام الم تر مع ان هذه القصة
كانت قبل البعث بزمان طويل اذ هي عام ولادته على اصح الاقوال
وهو قول الاكثر وقال مقاتل قبل مولده باربعين سنة وقال الكلبي
بثلاث وعشرين سنة وقيل بثلاثين وقيل بخمسين وقيل بسبعين
وقيل غير ذلك فالجواب ان المراد من الروية هنا العلم
والتذكر اي قد علمت فهو تقريري وهو اشارة الى ان الخبر به
متواتر فكان العلم الحاصل به ضروريا مساويا في القوة للروية
كما هو شان المتواتر وقد كانت هذه القصة دالة على شرف
محمد ولاسيما لنبوته وارهاصا لها هما متساويان والمراد انها
توطية وتقوية لنبوته واعزاز القومه اي تقوية لهم بعد الذل
بما اصابهم من ابرهة واستعمال العز في من لم يسبق له ذل مجاز كقوله
ان العزة لله جميعا بما ظهر عليهم من الاعتنا اي اعتنا الناس حتى

دانت

دانت اي خضعت وذلت لهم العرب واعتقدت شرفهم وفضلهم على سائر
الناس فيقولون حماية الله لهم ودفعه عنهم عطف تفسير فالحماية الدفع
فقالت العرب كما في ابن اسحاق اهل الله قاتل عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم
وقال الواقدي ذكر اشعار الشرح مكر ابرهة اي ارادته السوء بهم سماه مكرا
مع انه الاحتيال من حيث لا يعلم الممكور به وابرهة جاهر لانه بنى عمله
على تخريب الكعبة وهم لا يشعرون الذي لم يكن للعرب جميعا ومن انشده
لسائر العرب وهي ايضا تعني الجميع عند الجوهري في جماعة وان خطاه
فيه لانها لغة قليلة كما في القاموس وغيره وقد مر بسطه في الديباجة
ما نالها اي عليم متعلق بقوله قدره قدم عليه لانه ظرف وكان
ذلك كله ارهاصا لنبوته عليه الصلاة والسلام وهو فائدة ذكر
القصة هنا لا لتعظيم ما كانت عليه قريش فان اصحاب الفيل كانوا نصارى
اهل كتاب وكان دينهم حينئذ اقرب حالا مما كان عليه اهل مكة
لانهم كانوا عباد اوثان فنصرهم الله نصرا لا صنع لبشر فيه كانه يقول لم
انصركم لخيريتكم ولكن صيانة للبيت العتيق الذي سيشرفه حبر الانبيا
صلى الله عليهم وسلم قال الامام العلامة فخر الدين بن محمد بن
عمر بن الحسين البكري الطبرستاني الاصل الرازي المولد المعروف
بابن الخطيب فاق اهل زمانه في علم الكلام والاوائل وتوفي
سنة ست وستمائة بمدينة هراة ومذهبنا انه يجوز تقديم
المعجزة على زمان البعثة تاسيسا تقوية لها ولذلك قالوا
كانت الغمامة تظلله عليه الصلاة والسلام يعني قبل بعثته
وانت خبير بان قولهم ذلك لا يلزم منه انهم يسمونها معجزة الذي هو
محل النزاع ورجاله العلامة السيد المحقق علي الجرجاني في شرح
المواقف تبعا لغيره وهم الجمهور فاشترط في المعجزات ان لا تتقدم
على الدعوى الى كلمة الاسلام بل تكون مقارنة لها فالخوارق
الواقعة قبل الرسالة انما هي كرامات والانبيا قبل النبوة لا ينقصون عن
درجة الاوليا فيجوز ظهورها عليهم ايضا وتسمى ارهاصا كما صرح
به السيد وهو مذهب جمهور ائمة الاصول وغيرهم كما بيناه في ان
شا الله تعالى في المقصد الرابع فان قلت هلاك الله
اصحاب الفيل اعزاز البيت وحرمه وان الحجاج بن يوسف الثقفي
الظلوم المختلف في كفره واصناعه الامام ابو عبد الله بن عرفة انه
كان يقال الابي قادر دت عليه صلاة الحسن البصري عليه فاجاب
بانها تتوقف على صحة الاسناد اليه انتهى وفي الكامل للمبرد مما كفر به
الفقها الحجاج انه راي الناس يطوفون حول حجرته صلى الله
عليه وسلم فقال انما يطوفون باعواد ورمة قال الدميري كفروه بهذا
لان فيه تكذيبا لقوله صلى الله عليه وسلم ان الله حرم على الارض
ان تاكل اجساد الانبيا رواه ابو داود ضرب الكعبة لما ارسله
عبد الملك بن مروان الي قتال عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)